البنـــاء
السنة الثامنة / الخميس / 22 حزيران 2017 / العدد 2399
Eighth year / Thursday / 22 June 2017 / Issue No. 2399

عبد الله... الفارس الطيّب والمؤمن بأحقّية قضيته

النجم سامي أبو حمدان لـ«البناء»: «بلاد العزّ» دراما تؤكّد أنّ الحياة كلّها وقفة عزّ!

أبو حمدان متحدّثاً إلى «البناء»

...وبدور «عبد الله» في مسلسل «بلاد العز»

حاورته: عبير حمدان

لا يبحث الممثّل سامي أبو حمدان عن الشهرة، ربما لأنه يسعى إلى تقديم شخوص درامية تشبهه، لما يمتلكه من تواضع وثبات الموقف حين يرتبط الأمر بما يؤمن به.

من هنا، برع أبو حمدان في نقل روح الشخصية التي يؤدّيها في مسلسل «بلاد العزّ» إلى الناس بشفافية. وبدا مُقنعاً وقادراً على الإمساك بزمام العمل الذي حقّق نجاحاً تصاعدياً في مواجهة الكمّ الهائل من الطروحات الدرامية المتكئة على رأس المال الضخم، والترويج الإعلاني المبهر ولعبة «الرايتينغ».

هو تعاونه الأول مع «مركز بيروت»، ولا ينكر أنه جهد لتحقيقه إذ إنه يرى الجدّية في المادة الدرامية التي يقدّمها المركز، فكان «عبد الله» الفارس الطيّب المتمسّك بمبادئه، والقادر على قلب الموازين بهدوء وثبات. وكان العقل الذي يرسّخ حضور المقاومة ضدّ الظلم. هو ابن هذه الأرض بما تختزنه من كرامة وصمود وعطاء، وبطل من أبطال «بلاد العزّ»، مؤكداً أن بين تفاصيل السهل الواسع ويومياته، المفهوم الفعلي لعبارة «إن الحياة كلّها وقفة عزّ فقط».

«بلاد العزّ» نقطة التحوّل

بدءاً من مسلسل «الشحرورة»، و«اخترب الحيّ»، و«صبايا 5»، و«بنت الشهبندر» وغيرها من الأعمال، وصولاً إلى «بلاد العزّ»، يعتبر أبو حمدان أن شخصية «عبد الله» هي نقطة التحوّل في مسيرته المهنية. وعن ذلك يقول: «عبد الله» فيه الكثير منّي حين يرتبط الأمر بالمبادئ الإنسانية والموقف الوطني، لذلك لم أجد أيّ صعوبة في تأدية الدور. ولعلّ تركيبة الشخصية شكّلت حافزاً لي كي أقدّمها على هذا النحو لأنّني تعلّقت بتفاصيلها. حين نتمسّك بالوطن ونصرّ على صون الأرض من سطوة المحتل، ففي ذلك الكثير من العزّ. لذلك أعلنت منذ يومين على مواقع التواصل أنّ «بلاد العزّ» هو «وقفة عزّ»، لعبد الله ولسامي في آن، كونهما هذا الكلّ المؤمن بفعل التصدّي والصمود ومقدرة العقل على الانتصار ليكون سنداً فاعلاً لمن يحمل البندقية كي يدحر المحتلّ.

لكن، لماذا أتت البطولة ضمن إطار تصاعديّ في العمل؟ يجيب أبو حمدان: الأمر لم يأتِ بشكل اعتباطيّ، بل كان مدروساً. وعن قصد تم تقديم شخصية «عبد الله» بهذا الشكل التصاعديّ، ليظهر مع توالي الحلقات أنه بطل محوريّ في العمل. وما يميّز المسلسل أن القصة لم تطرح الأحادية في البطولة، إذ إنّ كلّ من شارك فيه بطل من موقعه. أحمد الزين بطل في سقوطه، وبيار داغر بطل في أسلوبه، وعمّار شلق وعدي رعد وآن ماري سلامة وسعيد سرحان. كل النجوم المشاركين في «بلاد العزّ» أبطال في تجسيدهم الرؤية التاريخية الدرامية التي خطّها الكاتب المبدع محمد النابلسي.

ويضيف في الإطار نفسه: لعلّ «عبد الله» هو «المكوك» الذي يربط كافة خيوط العمل. وكما رأيتم بدأت الصورة تتّضح تباعاً، وبدأ «نظمي بيك» يكتشف تفاصيل اللعبة التي ستوقعه في شرّ ما اقترفت يداه. وحتى «أمّ عبد الله» بدأت تتعرّف إلى ابنها أكثر وتفهمه على حقيقته. هذه الشخصية التي تتعامل مع الناس بطيبة وذكاء حتّت الناس على التغيير، وأتت لتثبت أنّ السياسة والحنكة جزء من الحرب النفسية، وإذا ما طوّعهما الإنسان الطيّب والمحبّ، يمكنه أن يحقّق النصر ولو بعد حين.

التاريخ والانتماء

وعن الفرق بين الأعمال التي قدّمها «مركز بيروت» وصولاً إلى «بلاد العزّ» يقول أبو حمدان: كلّ عمل قدّمه المركز طبع بصمته الخاصة، ولكن خصوصية «بلاد العزّ» تختلف لناحية تناولها حقبة من تاريخ منطقة بعلبك الهرمل لا يعرفها الكثيرون. وللأسف هناك صورة نمطية متداولة عن هذه المنطقة تحديداً تسيء إليها وأجزم أنها لا تشبهها. أنا ذهبت إلى بعلبك ووجدتُني كأنّي في قريتي وبيتي بين أهلي وناسي، ولم أشعر ولو للحظة أنني لا أنتمي إلى هذا الجزء من وطني. هذا هو تاريخ بعلبك وهؤلاء هم ناسها لم يتخلوا يوماً عن مبادئهم وأصالتهم وتعلقهم بأرضهم. لديهم كمّ هائل من الحُبّ والروح الجميلة والشهامة وهي فعلاً بقاع العزّ.

أما عن سبب اختياره التواجد ضمن إطار درامي جادّ ومحارَب في مكان ما، فيقول: نحن اليوم في زمن وسائل الانتشار فيه متاحة. ومهما كان «مركز بيروت» وما يقدّمه من مادة درامية مؤطر في مواجهة طروحات أخرى، لكنه سيصل إلى الناس. ومن لم يتسنَّ له التقاط بثّ قناة «المنار» سيبحث عن العمل على مواقع التواصل الاجتماعي الإلكترونية، ويمكنه متابعته على شاشة «سورية دراما»، ولاحقاً بعد الموسم الرمضاني سيراه على عدد من الشاشات. إذا لن يتمكن أيّ أحد من إلغاء هذا الوجود الفنّي والدرامي، وفي النهاية المادة الصادقة ستصل إلى الناس.

لكن، هل شعر أبو حمدان أنه مقيّد في ظلّ الفرضية التي تشيع أنّ الحبّ ممنوع على شاشة «المنار»، يقول: لم أشعر أبداً أنني مقيّد، وليس بالضرورة أن نقدّم الحب بشكل مبتذل كي يقتنع الناس بإحساسنا. يمكننا أن نعبّر عن الحبّ بنظرة وكلمات بسيطة وعادية. ومن جهتي أحترم رؤية الجهات المعنية في قناة «المنار» و«مركز بيروت» في هذا الخصوص، وقد نخسر الكثير إن لم نتمسّك بالأدب والأخلاق في تعاطينا الفنّي والإنساني.

ويلقي أبو حمدان اللوم على العصر الآنيّ في ما يتّصل بحجم انتشار الأعمال التي تخدش العين والسمع وعن ذلك يقول: نحن اليوم في عصر استيراد القصص الدرامية من مجتمعات لا تشبهنا، والحياة فيها الأسود والأبيض ومهما حاولنا مواجهة كل الابتذال المتفشي، لن نتمكن من إلغائه. للأسف هناك من يرى أن الفنّ والتمثيل عبارة عن مادة ترفيهية وتسويقية فيعمل على تشويه كل المعايير الأخلاقية تحت سقف العرض والطلب. ومن موقعنا كممثلين جادّين نقدّم مادة تناقض رؤيته على قدر ما نستطيع، هو الصراع الأزليّ بين الخير والشرّ ويستمرّ في مختلف مفاصل الحياة وينسحب على الفنّ أيضاً.

إدارة الإخراج هي الأهمّ

ويؤكد أبو حمدان على أهمية الرؤية الإخراجية التي تساعد الممثل ليقدّم أفضل ما عنده، وعن تجربته مع المخرج السوري عاطف كيوان يقول: التزامي مع «مركز بيروت» تم قبيل تصوير العمل بأيّام. لذلك لم يكن من السهل الدخول في عمق الشخصية خلال وقت قياسيّ لولا مساعدة المخرج الذي برع في إدارته كافة تفاصيل العمل. ومن هنا أتوجّه بالتحية إلى المبدع عاطف كيوان الذي ساعدني كثيرا كي تخرج صورة «عبد الله» إلى الناس على هذا النحو المقنع. ولعلّ الخبرة التي يمتلكها المخرجون السوريون تدعم نجاح أيّ عمل دراميّ مفترض. والدليل تفوّقهم الواضح في الدراما على مدى سنوات احتلوا فيها الصدارة.

لكن أبو حمدان لا ينكر أهمية الدراما المصرية والتقنية التي يمتلكها صنّاعها، ويشير إلى أنّ الدراما اللبنانية تحقّق النجاح من دون أن نقع في فخّ مقارنتها بالعصر الذهبيّ الذي ارتبط بأعمال مثل «عازف الليل» و«حول غرفتي» وغيرها من المسلسلات التي حفرت في الذاكرة الفنية للدراما اللبنانية.

ويرى أبو حمدان أن مسلسل «بلاد العزّ» يحتمل أن يكون فاتحة لسلسلة أجزاء على هذا النحو وعن ذلك يقول: أحبّ أن أقول عبر جريدة «البناء»، إنّ مسلسل «بلاد العزّ» يحقّق نسبة عالية من المشاهدة. وأنا هنا أتحدّث كابن الشوف، وأجزم أن محيطي بكامله ينتظر ساعة عرض العمل ويتفاعل مع كافة شخوصه ويتوقع أن يكون فاتحة لسلسلة متكاملة تضيء على التاريخ الوطني والحقيقي للمقاومين وتلامس نبض الناس في كلّ جزء من الوطن. ففي كل مكان هناك «نظمي بيك» الإقطاعيّ المتحكّم بمصائر العباد، وهناك «معين» و«عبد الله» و«سعيد» وغيرهم من مقاومي كلّ أنواع الظلم والاستبداد.

من هنا، نفتح النقاش حول المقارنة بين «بلاد العزّ» وعمل آخر قيل إنه يُضيء على منطقة بعلبك الهرمل والقرى الحدودية مع الشام فيقول: التاريخ الذي قدّمه «بلاد العزّ» لا يزال قائماً حتى اليوم، وشهامة أهل البقاع ومروءتهم وعزّتهم لا تزال موجودة حتى اليوم لا بل زادت. وهذه هي الصورة الحقيقية عن أهل البقاع، وأنا «عبد الله» ابن بعلبك في 1920 لم أزل الشخص نفسه في العام 2017 لناحية وطنيّتي وانتمائي. وبكلّ بساطة أنا «بحكي وما بقوّص». أما في طرح درامي مضادّ البطل الافتراضي «بيقوّص». اليوم أنا أرى أن الكلمة أقوى من الرصاص في مكان ما، صحيح هناك نماذج تشبه من يعتمد الرصاص لغة خاصة ليقفل منطقة برمّتها، ولكن من الخطأ تقديمها كمثال يستدعي التهليل له، حين نعمل على تظهير الشخوص الشريرة علينا أن نقدّمها بشكل صحيح كي لا تصبح نموذجاً محبّباً ومقبولاً.

ويختم أبو حمدان بالتأكيد على تمسّكه بالتعاون مع «مركز بيروت» ويقول: أنا مؤمن بما قدّمته ولا أبحث عن الشهرة ولا أشتريها. من موقعي أعرف حجمي وأعرف ما يلائمني، وأجهد لتظهير أيّ دور يُسند إليّ بشكل صادق كي أحافظ على المستوى الذي وضعني فيه «عبد الله»، إذ إنّ سامي أبو حمدان ما قبل «بلاد العزّ»، يختلف عن سامي ما بعد هذا العمل الرائع.

رقص الألوان على نبض الحياة في رسومها

الفنانة التشكيلية فاطمة اسماعيل: الأكريليك والزيتيّة يعانقان ريشتي بحبّ

رنا صادق

تتبعثر الكلمات عند المضيّ في وصفها بحزمة قليلة من الكلمات. فهي فنانة، رسّامة وكاتبة، تتناثر كحلم الغافل بالجنّة في التشكيل الفنّي والروح الإبداعية. تطبع من الذكريات آلاف الأحاسيس، تكسب المكان واللقاء الأوّلين معنى إضافياً مترجماً، بحثٌ رقيق صادق يجتاز حدود البوح والعلنية.

في ظلّ الأشجار تفيأت وعلى ألوان الياسمين أزهرت وبرعمت، يروقها عزف الألوان ويطربها لحن اللوحات. الفنانة التشكيلية فاطمة اسماعيل تتمسّك بجذور الحبّ والطفولة وبراعم سحمر قريتها عند المغيب والشروق. تتّحد مع أنغام الفنّ لتشكّل لوحة مفصّلة عبارة عن حياتها بقالب مؤثر. حديثها إلى «البناء» قفز على بساط الريح فوق سحاب أعمالها، نشارككم تفاصيل اللقاء.

فاطمة اسماعيل، تحلّق حين تمسك بيدها ريشة، وغصن شجرة، ولدت في سحمر البقاع الغربي، احتضنتها الطبيعة، راقبت الغروب والشروق، تفاصيل نضوج الاخضرار والألوان من حولها. أيام الدراسة كانت تقضيها وعائلتها في بيروت، أما الإجازات الموسمية والصيفية في القرية. هذا التلاحم بين المدينة والقرية جعلها تفهم معاني الأشياء كما هي، تقلقها ضوضاء المدينة ويسحرها هدوء القرية.

توجّهت إسماعيل إلى دراسة الحقوق، لأنها كما تشير تحبّ الدفاع عن كل من ظلم أو هدر حقّه، فوجدت نفسها أمام بؤس الحياة، فتحوّلت نحو الأدب العربي، اللغة التي تعشقها، لم تكملها أيضاً بسبب السفر والزواج، وعند استقرارها حازت على شهادة في الأدب الإنكليزي.

الفنّ كان النقلة المذهلة في حياتها، فهمت يوماً أنها ولدت لحمل الريشة، وتحكي عن اللون. ترى فاطمة اسماعيل طفولتها مساحة حرّة، اخضراراً ووجوهاً، كانت تراقب وجوه المارة في بيروت المدينة، وتلتمس نبض الحياة الخضراء في سحمر القرية، هذا المزيج رسم في مخيلتها آلاف الحكايات والألوان. جلوسها أمام الغروب أغراها في رسمه، فتمنّت رسمه، ولم يخطر في بالها يوماً أنها ستكون فنانة تشكيلية، وكاتبة.

مشوارها والرسم بدأ صدفةً: حين نصحها زوجها الشاعر مردوك الشامي بالبدء بالرسم بعد أن قرأ فيها موهبتها. في ذلك الوقت لم تدرك أنها ستصبح فنانةً تشكيلية، بل ظنّت أنه مجرّد إطراء من زوجها لدعمها معنوياً بُعيد الفترة الصعبة التي عايشتها في السعودية على حدّ قولها لـ«البناء».

لكنها حين بدأت الرسم، بدأت اللوحات تملأ جدران المنزل، أدركت فاطمة اسماعيل موهبتها، كما تأكدت أن إلى جانبها شريكاً حقيقياً يكمّل ذاتها ويدعمها.

بالنسبة إلى الكتابة، خطّت فاطمة كلماتها الأولى أيام الثانوية، لم تنهيها، لأنها احتاجت إلى التعبير عن ذاتها بأسلوب مختلف. واليوم رواياتها على وشك الصدور قريباً في بيروت، في حين أنها مرتبطة جداً مع لوحاتها، كأنهما معرض بحدّ ذاته.

استعانت فاطمة بكل أنواع الألوان والأدوات، ولكن لم يتلاءم نبضها سوى مع الألوان الزيتية، لكنّها اضطررت للتخلّي عنها بعدما زخرت رحمها بالطفل الأول، حرصاً على عدم استنشاق الجنين رائحة الألوان، وحتى الآن لم تستطع العودة إليها، لكنها متأكدة من العودة إلى هذه الألوان لأنها الوحيدة التي تفهم ما في داخلها من غضب وحزن، فرح وأمل وترسم معها كل الأغاني التي تعزفها.

الأكريليك صديقها العزيز، خافت ألا يفهمها كما يفعل الزيتي، لكنّه بات صديقها العزيز حتى الآن. وهبها الأكريليك الحرية مختلفة، كثافة في اللون وحرّية في الحركة، ولكل منهما خاصيته لديها، فهو والألوان الزيتية يعانقان ريشتها بحبّ.

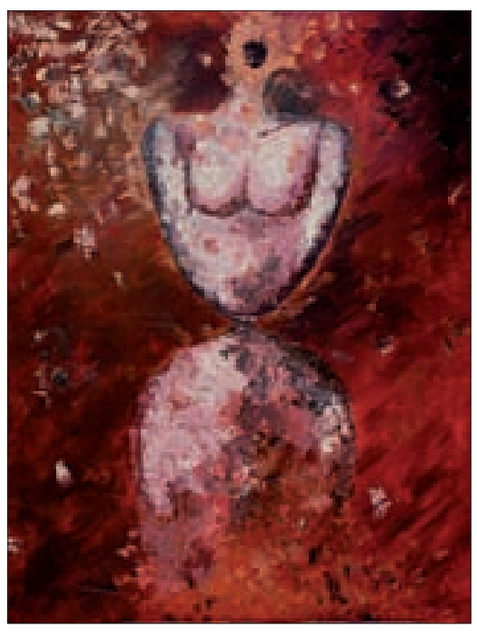

لا تتجّه نحو لون محدّد، فاللون يخرج مختلفاً في كل مرّة ترسم فيها، بحسب تغيّر مزاجها وتبدّله، حتى وإن استخدمت الألوان ذاتها في كل مرّة، فالدمج وقت الرسم يُحدث فرقاً شاسعاً.

أما عن سؤالها إلى أيّ مدرسة فنّية تتجه أعمالها، فأجابت: لا أحبّ التصنيفات، كلّما سألني أحدهم أحاول أن أبحث عن توصيف يرضيني، ولكن لم يحدث هذا! لديّ التعبيري، والتجريدي والواقعي، والسريالي أيضاً، أرسم المزيج؛ أرسم كلّ هذا معاً، كما أشعر بالتحديد. وأترك تحديد التصنيف الأكاديمي للنقاد.

لوحاتها هي نبضها، صعب وصفها، الكلام فيها ظلم كما تؤكّد فاطمة اسماعيل، فهي تصف المعاناة بلوحة، تحكي ذاتها من خلال اللوحة. اللوحة مرآتها. تتلعثم حينما يسألها أحدهم عن معنى لوحة من لوحاتها، لأنها جزء عميق يصعب اختزاله وشرحه. فاللوحة هي مذكراتها الخاصة جداً، ولأن الفن عظيم بمعانيه، تخرج اللوحة لتحكي عن كل ما في هذا المجتمع، وتحكي عن كل زائر للمعارض. ترسم الفنانة تداعياتها الشخصية، ترسم قصص كلّ من حولها، لهذا تركّز على المجتمع، المرأة، والفكر. أما الخامة التي ستستخدمها، فتحدّدها الفكرة.

من خلال معارضها الفنية، تطرح فاطمة اسماعيل مظهر المرأة الحقيقي وتُقدّمه للجمهور، وتحكي عن الأشياء التي يخفيها المجتمع في هذا الخصوص ويحاول تلطيفها بالغصب والقوة لاعتباره مجتمعاً مثالياً؛ فالعائلة والزوج الأبناء مصادر تكمّل المرأة، كما تطرح المسؤوليات التي تتحمّلها والتي عليها أن تكون جزءاً متواصلاً مع الرجل.

يخضع التقييم الفني للوحة إلى مستوى تحقيق التكامل الحيّ لها موضوع، شكل، مادة، تقنية. فقدرة الفنان على المشاركة في رفع مستوى القيمة الفنية للوحة في حالة التلقائية أو الدراسة عند الرسم تتفاوت بين فنان وآخر، بالنسبة إلى فاطمة اسماعيل، هي ترى اللوحة على هيئة مشاعر؛ لا يمكن هندستها وقولبتها. الفنان هو الذي يحكم هذا الأمر، كلّما استطاع الارتقاء بقيمة اللوحة الفنية، يكون قادراً على البوح أكثر، كلّما كان حرّاً في تعبيره بعيداً عن القوالب، كلّما كانت لوحته أكثر قيمة. والدراسة ضرورية، إنّما الدراسة المبالغ فيها تلغي المعنى الحقيقي للوحة، وولادة اللوحة لا تكون إلا مرّة واحدة، إن كانت كدراسة أو لوحة مكتملة.

أما بالنسبة إلى قدرة اللوحة الفنية على إعطاء الصبغة المحلية لهوية الفنان من جهة والصبغة الإنسانية من جهة أخرى، فتقول فاطمة اسماعيل: الفنان كائن موجود في هذا المجتمع، يعيش حياته اليومية بشكل طبيعي يعطي رأيه ويتشبث به، يلغي رأياً ويعيّن رأياً آخر، لكنّه يختلف بطريقة تعبيره؛ تكون اللوحة هي البوح والصرخة لديه. لهذا، أنا أحمل ريشتي لأقول أنا هنا؛ وما أفكر به.

بالتطرّق إلى وضع الفنّ حالياً، أرى أن الفن التشكيلي على أحسن حال، لكن العالم العربي يعاني العزلة مع ذاته، لديه انفصام بالاكتمال، مع القمع تصبح الصرخات مكبوتة، لهذا تمزّق اللوحات. ومع الجوع تصبح اللوحة بلا قيمة مقابل رغيف خبز. ومع المعاناة تصبح اللوحة غاضبة ومتألمة تحكي الحقيقية ولا تناسب القصور، فلا أحد يشتريها بثمنها الحقيقي.

وفي النهاية، تعتبر الرسّامة أنّ الفن التشكيلي العربي موجود في محيط يبكي على أطلاله، وحده من يخطو خطوة مختلفة ويبتعد عن الجماعات يستطيع أن يبرز، إذ لا فنّان ليس مهماً، فكل من يرسم لوحة يستطيع أن يوزّع لوحاته على أصدقائه ومحيطه وينشر الثقافة الفنية، هكذا تبرز أهميته كفنان ومصدر ثقافي، ويصبح الفنّ التشكيليّ في العالم العربي قيّماً.